



الثلاثاء 29 أبريل 2014 12:04 م

صادق أمين

يُعد الأستاذ عبد الرحمن الكواكبي - رحمه الله - إحدى صرخات الحرية في وجه الظالمين المستبدين؛ الذين فضحهم في كتابه " طبائع الاستبداد و مصارع الاستبعاد" حتى انتهى أمره بتصفيته جسدياً على أيديهم الآثمة.

لذا أجرينا الحوار التالي معه و نستله بتوصيف جامع للمستبد الظالم كي نحذره، فقال:

ما أشبه المستبد في نسبته إلى رعيته بالوصي الخائن القوي؛ يتصرف في أموال اليتامى و أنفسهم كما يهوى؛ ما داموا ضعافاً قاصرين، فكما أنه ليس من صالح الوصي أن يبلغ الأيتام رشدهم، كذلك ليس من غرض المستبد أن تتنور الرعية بالعلم.

أيعني كلامك هذا أن الرعية على عهد المستبد ستكون جاهلة؟

أجل؛ إذ لا يخفى على المستبد - مهما كان غيباً - أن لا استبعاد و لا اعتساف إلا ما دامت الرعية حمقاء، تخطي في ظلامه جهل و تيه عمياء؛ فلو كان المستبد طيراً لكان خفاشاً يصطاد هوام العوام في ظلام الجهل، و لو كان وحشاً لكان ابن آوى يتلقف دواجن الحواضر في غشاء الليل.

ولماذا إلى هذا الحد يكره المستبد وعي الشعب؟

يمقت المستبد وعي الشعب؛ لأنه كَشَّاف وَصَّاح للخير فَصَّاح للشر؛ يُؤلِّد في النفوس حرارة و في الرؤوس شهامة، و المتأمل في حالة كل رئيس و مرؤوس يرى كل سلطة تقوى و تضعف بنسبة نقصان وعي المرؤوس و زيادته.

كما ترتعد فرائض المستبد من كل وعي يكبر في النفوس و يوسِّع العقول و يعرف به كل مواطن حقوقه و كم هو مغبون فيها؟ و كيف الطلب؟ و كيف النوال؟ و كيف الحفظ؟

و أخوف ما يخاف المستبد من أصحاب هذا الوعي المندفعين منهم لتوعية الناس.

أنعني أن الحرب الحقيقية هي حرب الوعي؟

نعم؛ لأن بين الاستبداد و بين الوعي حرباً دائمة و طَوَّارداً مستمراً؛ يسعى العلماء في تنوير العقول، و يجتهد المستبد في إطفاء نورها، و الطرفان يتجاذبان العوام.

و مَنْ هم العوام؟

هم أولئك الذين إذا جهلوا خافوا، و إذا خافوا استسلموا، كما أنهم هم الذين متى علموا قالوا، و متى قالوا فعلوا.

و لماذا العوام خاصة؟

لأنهم هم قوة المستبد و قوته؛ بهم يصل و يطول، بأسرهم فيتهللون لشوكته، ويغصب أموالهم فيحمدونه على إبقائه حياتهم، و يهينهم فيثنون على رفعتهم، و يُغري بعضهم على بعض فيفتخرون بسياسته، و إذا أسرف في أموالهم يقولون كريماً، و إذا قتل منهم و لم يمثل يعتبرونه كريماً، و يسوقهم إلى خطر الموت فيطيعونه حذر التوبيخ، و إن نقم عليه منهم بعض الأباة قاتلهم كأنهم بغاة. و الحاصل أن العوام يذبون أنفسهم بأيديهم بسبب الخوف الناشئ عن الجهل و الغباوة.

و ماذا يحدث لو ارتفع الجهل - و تنور العقل؟

إذا ارتفع الجهل و تنور العقل زال الخوف، و أصبح الناس لا ينقادون - طبعاً - لغير منافعهم؛ كما قيل: العاقل لا يخدم غير نفسه، و عند ذلك لابد للمستبد من الاعتزال أو الاعتدال.

أيمكن أن يحدث هذا؟

نعم؛ فكم أجبرت الأمم بترقيها المستبد اللئيم على الترقى معها و الانقلاب - رغم طبعه - إلى وكيل أمين يهاب الحساب، و رئيس عادل يخشى الانتقام، و أب حكيم يتلذذ بالتحاب، و حينئذ تنال الأمة حياة رضية هنية، حياة رخاء و نماء، حياة عز و سعادة.

و هل من وصية لشعب مصر تختم بها حديثك؟

أقول لهم: إن الحقوق لا تُعطى منة من حاكم مستبد أو من مستعمر؛ و إنما تُنال بالإعداد و التحضير لمواجهتهم؛ فالعزة و المجد لا يُنالان بالتمنيات و الترجي.